بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 83 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:01\05\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

بعد أن استعرضنا المشتركات بين الإنزال والتنزيل، والمختلفات في موارد استعمال القرآني، نريد أن نأخذ النتيجة التالية: وهي باعتقادنا أن الاستعمال القرآني في تمام تلك الموارد المختلفة والمتحدة ينسجم مع النتيجة اللغوية والمستفادة من مقاربة النظائر.

لكن هذا -كما تعلمون- يحتاج إلى تطبيق متكامل. نحن نكتفي بذكر بعض النماذج، مثلاً: الصورة التي يعرض عليها الإنزال تارة والتنزيل أخرى.

تارة يُنظر إلى الصورة ككل ﴿أُنْزِلَتْ سُورَة﴾[1] فيستعمل الإنزال، وأخرى يُنظر إلى المعنى الحدثي التدريجي فيستعمل التنزيل.

وعموماً ما يرتبط بالكتب السماوية والألفاظ التي تعبر عن ذلك من كلمة الفرقان والذكر، وتعرفون أن الفرقان ليس بمعنى الكتاب السماوي، بل الفرقان هو كل ما يفرق به بين الحق والباطل، فقد تطلق على الكتاب، وقد تطلق على الإمام، وقد تطلق على العقل، وقد تطلق على الآية والعلامة إلخ.

فنلاحظ في هذه الاستعمالات تارة يراد نتيجة عمل الباري تبارك وتعالى فتستعمل مفردة الإنزال، وأخرى يراد استحضار الحالة فيستعمل مفردة التنزيل.

مثلاً كلمة الفرقان في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقانَ﴾[2] استعمل الإنزال، وفي سورة أخرى يقول تبارك: ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمينَ نَذيراً﴾[3] استعمل التنزيل.

---

[1] التوبة: 86
[2] آل عمران: 4
[3] الفرقان: 1

في الآية الأولى تكلم عن علائم ودلائل موجودة الآن فعلاً بين الناس، فنظر إليها كمجموع، فاستعمل لفظة الإنزال، وفي الآية الثانية أراد الاستفادات من هذا الشيء الذي نزل، وهذه الاستفادات تكون على نحو التدرج والمكث والمهلة وما شابه ذلك.

فلو استقرأنا هذه الموارد لوجدنا أن المقاربة اللغوية ومقاربة النظائر تصدق عليها. وهكذا يقاس الأمر في القرآن والسورة والكتاب والتوراة والإنجيل والذكر وما شابه ذلك.

فقلنا السورة باعتبار مجموعها يعبر عنها بالإنزال قوله تبارك وتعالى: ﴿أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾[4]، وبلحاظ تدرجها في عملية النزول واحتياجها إلى المكث يقول تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾[5] ففي الآية الواحدة هم يريدون شيء ينتظرونه فهذا يحتاج إلى مكث، فيقول عندما تنزل وينتهي الأمر تراهم كل واحد أعرض إلى مكان آخر.

إذاً هذا حتماً ينسجم مع تلك المقاربة.

الأمثلة على ذلك كثيرة، فاكتفي بهذا المقدار حتى لا يطول البحث.

المقاربة الروائية: وهي التي تحسم الأمر لصالح ما ذكرته.

جاء في الكافي بإسناده إلى حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَز وَجَلَّ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا أُنْزِلَ في عِشْرِينَ سَنَةً بَيْنَ أَوَّلِه وَآخِرِه؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام نَزَلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً في شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ثُمَّ نَزَلَ في طُولِ عِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ في أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِيَةَ عَشَرَ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ في ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ)[6].

فإذاً هذه الرواية تدل بوضوح على أن القرآن الكريم له نزولان، نزول دفعي كان في شهر رمضان، ونزول تدريجي بحسب الوقائع.

---

[4] التوبة: 86
[5] محمد: 20
[6] الكافي (ط - الإسلامية)، ج2، ص: 628

وهذا ينسجم مع الرد المعروف لشبهة أن البعثة النبوية كانت في السابع والعشرين من شهر رجب، ونزلت آيات ﴿اقرأ﴾ مع قول القرآن الكريم أن القرآن نزل في شهر رمضان. فمثل هذه الرواية تنفع للطلب.

إذا يستفاد من هذه الرواية أنه يوجد نزولان للقرآن الكريم، فبأحدهما يصح أن نستعمل الإنزال وبالآخر يصح أن نستعمل التنزيل.

فالمقتضي للالتزام بما ذكره الزمخشري وتبعه عليه جملة من علماء التفسير المقتضي صحيح وموجود. يبقى أنه يوجد مانع، إذا تم هذا المانع نقع في مشكلة.

المانع: هو ما ذكره أبو حيان المفسر، قال: بما أنكم ترون أن التنزيل يدل على اللبث والتدرج، فماذا تفعلون بقوله تعالى: ﴿لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً﴾[7] ذيل الآية يدل على النزول الدفعي، وصدر الآية استعمل التنزيل الذي بنظركم يدل على التدرج، فيحصل تناقض بين صدر الآية وبين ذيل الآية.

لكن باعتقادي أن الأمر في هذا الإشكال سهل، إنما يصح لو كان المقصود من جملة واحدة هو النزول الدفعي، أي مثل شخص يدوس على زر فتشتعل الكهرباء دفعة واحدة، فلو كان المقصود من جملة واحدة كن فكانت السورة لكان الإشكال وارداً، وسجلت هذه الآية مانعاً عما حققناه.

أما لو أريد من قوله جملة واحدة نزول القرآن آية بعد آية في زمان متصل عرفاً، أي: كما تقول ألقى الخطيب كلمة، وهو خطب على المنبر مدة ساعة، فيوجد نوع من التدرج والمكث، لكن بلحاظ أنه في زمان واحد متصل أُطلق على كل هذا الخطاب الممتد أنه كلمة.

فيكون هذا نظير ما تقدم في النظائر في سورة التحريم، عندما استعمل الفعل المشدّد نبّأ، والذي يكون إفشاء السر بشكل تدريجي لكن في زمان متصل، ويستبطن مدة زمنية وتدرج في الزمان.

فحينئذ لا تصلح هذه الآية كاعتراض على البيان المتقدم.

---

[7] الفرقان: 32

خلاصة المطلب: أن الفرق بين التنزيل والإنزال بملاحظة كلمات أئمة اللغة من جهة، وبملاحظة الاستعمالات في النظائر من جهة أخرى، وبملاحظة غالب الاستعمالات القرآنية بشكل واضح، وبملاحظة الرواية المتقدمة، هو أن التنزيل يدل على الهبوط المقتضي للتدرج واللبث والمكث، أما النزول فيدل خلاف ذلك.

وبهذا يكون قد تمّ الكلام في الفرق بين التنزيل والإنزال.